

تفسير ابن كثير

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة وهي قوله : { إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك } الآية وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة وقد روى الترمذي : حديث ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة عن أبيه عن علي بن أبيه أنه قال : ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية { إن ا لا يغفر أن يشرك به } الآية ثم قال : هذا حسن غريب وقوله : { ومن يشرك با فقد ضل ضللا بعيدا } أي فقد سلك غير الطريق الحق وصل عن الهدى وبعد عن الصواب وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والاخرة وفاتته سعادة الدنيا والاخرة .

وقوله : { إن يدعون من دونه إلا إناثا } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان أنبأنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : مع كل صنم جنية وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سلمة الباهلي عن عبد العزيز بن محمد عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عائشة { إن يدعون من دونه إلا إناثا } قالت : أوثانا وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وأبي مالك والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال جويبر عن الضحاك في الآية قال المشركون إن الملائكة بنات ا وإنما نعبدهم ليقربونا إلى ا زلفى قال : فاتخذوهن أربابا وصوروهن جوارى فحكموا وقلدوا وقالوا : هؤلاء يشبهن بنات ا الذي نعبده يعنون الملائكة وهذا التفسير شبيه بقول ا تعالى : { أفرايتم اللات والعزى } الآيات وقال تعالى : { وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا } الآية وقال : { وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا } الآيتين وقال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس { إن يدعون من دونه إلا إناثا } قال : يعني موتى وقال مبارك يعني ابن فضالة عن الحسن : إن يدعون من دونه إلا إناثا قال الحسن : الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح إما خشبة يابسة وإما حجر يابس ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهو غريب .

وقوله : { وإن يدعون إلا شيطانا مريدا } أي هو الذي أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر كما قال تعالى : { ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان } الآية وقال تعالى إخبارا عن الملائكة أنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا { بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون } .

وقوله : { لعنه ا } أي طرده وأبعده من رحمته وأخرجه من جواره وقال : { لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا } أي معيننا مقدرنا معلوما قال مقاتل بن حيان : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة { ولأضلنهم } أي عن الحق { ولأمنينهم } أي أزين

لهم ترك التوبة وأعدهم الأمانى وآمرهم بالتسوية والتأخير وأغرهم من أنفسهم وقوله : { ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام } قال قتادة والسدي وغيرهما : يعني تشقيقتها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة { ولآمرنهم فليغيرن خلقا } قال ابن عباس : يعني بذلك خصي الدواب وقد روي عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض وقتادة وأبي صالح والثوري وقد ورد في حديث النهي عن ذلك وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : يعني بذلك الوشم وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه وفي لفظ : لعن الله من فعل ذلك وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ثم قال : ألا لعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله يعني قوله : { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } وقال ابن عباس في رواية عنه ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والحكم والسدي والضحاك وعطاء الخراساني في قوله : { ولآمرنهم فليغيرن خلقا } يعني دين الله هذا كقوله : { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله } على قول من جعل ذلك أمرا أي لا تبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تجدون بها من جدعاء] وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم] .

ثم قال تعالى : { ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا } أي فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفائتها وقوله تعالى : { يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } وهذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب وافترى في ذلك ولهذا قال الله تعالى : { وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } كما قال تعالى مخبرا عن إبليس يوم المعاد { وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم } .

وقوله : { أولئك } أي المستحسنون له فيما وعدهم ومناهم { وأولئك } أي مصيرهم ومآلهم يوم القيامة { ولا يجدون عنها محيما } أي ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف ولا خلاص ولا مناص ثم ذكر تعالى حال السعداء والأتقياء ومآلهم في مآلهم من الكرامة التامة فقال تعالى : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات } أي صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به

من الخيرات وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات { سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار } أي
يصرفونها حيث شاؤوا وأين شاؤوا { خالدين فيها أبدا } أي بلا زوال ولا انتقال { وعد ا
حقا } أي هذا وعد من ا { ووعد ا { معلوم حقيقة أنه واقع لا محالة ولهذا أكده بالمصدر
الدال على تحقيق الخبر وهو قوله حقا ثم قال تعالى : { ومن أصدق من ا { قيلا } أي لا أحد
أصدق منه قولا أي خبرا لا إله هو ولا رب سواه وكان رسول ا { صلى ا { عليه وسلّم يقول في
خطبته : [إن أصدق الحديث كلام ا { وخير الهدى هدى محمد صلى ا { عليه وسلّم وشر الأمور
محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار]